# الخطاب الكورونيالي:مقاربة طباقيّة نصّ عزمي بشارة:"جَبْرُ الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلّمنا الوباء؟"مثالاً

# *The Coronial Discourse: Antithetical Approach Azmi Bishara's Text: "Jabr al-Khawaḍir fi Zaman al-Makhaḍḍir": What does Pandemic Teach us? as a Case Study*

أ.د.زهير محمود عبيدات

الجامعة الهاشميّة-كليّة الآداب-قسم اللغة العربيّة- المملكة الأردنية
*zuh@hu.edu.jo*
*dr_zuhair_1@yahoo.com*

تاريخ الإيداع: 2022/01/11 تاريخ القبول: 2022/02/05 تاريخ النشر: 2022/03/15

**ملخّص**

تتوقّف الدراسة عند نصٍّ عزمي بشارة الموسوم بِـ"جَبْرُ الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلّمنا الوباء؟" الذي بيّن فيه موقفه من الآراء التي انشغلت بالكشف عن مصير العالم وصورته في مرحلة ما بعد كورونا في المستقبل،وتلك التي نظرت إلى كورونا من زوايا نظر مختلفة،وكان نصّه قراءة تفكيكية مضادة،استندت إلى المنهج الحجاجي لإقناع الطرف المقابل وقبول رأيه.كما عُنيت الدراسة بهذا الخطاب المضادّ وأطروحته المقابلة،ووقفت عند معجم الخطاب واللغة التي شاعت في النص،وهي مقاربة طباقية تتجاوز النظرة الأحادية إلى النظرة العريضة الواسعة التي تنظر من خلال رؤى متعددة بحثاً عن المتعدّد والمختلف.وتبيّن للدراسة أنّ فيروس كورونا كان محرّكاً لافتراع رؤى تقرأ كورونا من منظورات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية،وتبيّن أيضاً أن الخطاب الكورونيالي خطاب نقدي تفكيكي لكثير من المركزيّات.

كلمات مفاتيح:(الكورونياليّة،الخطاب الكورونيالي،كورونا والسرد،عالم ما بعد كورونا،قراءة طباقية،مصير العالم).

## Abstract

This study investigates Azmi Bishara's text titled "Jabr al-Khawaḍir fi Zaman al-Makhaḍḍir": What does Pandemic Teach us"?, in which he shows his stand of the views that were engaged in showing the future of the postcoronial world and image. It also handles the views that looked at the pandemic from different visions; his text was an antithetic reading, based on the persuasive approach to convince the contradictory part and convince it. The study also examines the contradictory discourse and views, and explores the lexicology of discourse and the common language used in the text. It benefited from the antithetical approach that exceeded the individual view into a wider one, that looks from various visions, searching for what is multiple and what is diverse. The study shows that corona virus was a motivator to branch visions that handle it from political, economic, social, and religious perspectives, and points out that the coronial discourse is critical and antithetical for many central issues.
Key words: (Coronialism, coronial discourse, corona and narration, the postcoronial world, antithetical reading, the fate of the world).

**مقدّمة**

نقصد بِـ"الخطاب الكورونياليّ"الخطاب الذي يتخذ من كورونا موضوعاً له،بالوصف أو التحليل أو النقد أو بأيّ وسيلة من وسائل التعبير.وتعبير"الكورونياليّ"منسوب إلى فيروس كورونا.ونقصد بِـ"القراءة الطباقيّة"المفهوم الذي أخذ به إدوارد سعيد،ويُعنى بالنظر إلى الظاهرة المدروسة من منظور ثنائيّ متضادّ أو من وجهَيْ نظرٍ متعاكستين بعيداً عن الرؤية الواحديّة،من أجل الوصول إلى قراءة موضوعيّة تتحصّل بالنظر من زوايا متعددة وأكثر من مرآة،لتقلّب وجوه الحقيقة وعدم قدرة أحد على امتلاكها،وهو ما نفهمه من قوله"حين نعود بالنظر إلى سجل المحفوظات الإمبريالي،نأخذ بقراءته لا واحدياً،بل طباقيّاً،بوعي متآين للتاريخ الحواضري الذي يتم سرده ولتلك التواريخ الأخرى التي يعمل ضدها (ومعها<أيضاً>)الإنشاء المسيطر"[1]،وأكّده في قوله"القراءة الطباقيّة ينبغي أن تُدخل في حسابها كلتا العمليتين:العملية الإمبريالية،وعملية المقاومة لها"[2].وتتولّد من خلال هذه القراءة مستوياتٌ من المعاني والمدلولات والتأويلات،كمستوى المعاني القريبة والبعيدة،والمعاني الحسيّة والمعنويّة،والمعاني السطحيّة والعميقة،والمعاني الظاهرة والمتوارية،والمعاني المكشوفة والكامنة وغير ذلك.

ظهرت كتاباتٌ حول فيروس كورونا وطبيعته وتأثيراته في الحياة السياسية والفلسفية والفكرية والأدبية والدينية والإعلامية وغير ذلك الكثير ممن وجدوا فيه حافزاً للكتابة،واجتمع حوله المتخاصمون والمختلفون والمتوافقون،وجاءت مقارباتهم أو كتاباتهم على شكل مقالات أو دراسات أو كتب،بعضها انطباعيّ ومتسرّع،وبعضها جاء به متخصّصون في حقول معرفيّة مختلفة انطبعت بالطابع العقلانيّ والمنهجيّة العلميّة، وانشغلت بعض الدراسات بالتنبؤ وتوقّع تغييرات جذرية في المستقبل على المستوى الدوليّ والعالميّ،وعلى المستوى الاجتماعيّ والفرديّ،وشاع خطاب النهايات والمصائر.

يمثّل نصُّ عزمي بشارة الموسوم بِـ"جَبْرُ الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلّمنا الوباء؟"الاتجاه الحواري العقلانيّ الناقد،واستندَ إلى وقائع التاريخ وحقائقه الموضوعيّة،وانشغل بتفكيك مقولات بعض مَن وقف عند كورونا.وعُنيت هذه الدراسة بقراءة نصٍّ يجمع بين الفنيّ والفكريّ لكاتبٍ أديبٍ في المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي والحضاري.

وظّفَ عزمي بشارة،وهو يشيد نصّاً مضادّاً،استيراتيجيّة الحِجاج،لتحطيم أطروحة الطرف المقابل من أجل أن يفرض رأيه،وانشغل بما دار حول كورونا من مفاهيم ومدلولات،وقدّم مفهومات جديدة بمصطلحات جديدة،وكان نصّه أطروحةً مضادّة بناها على أنقاض المفاهيم التي فكّكها في بحثه عن المعاني العميقة التي تتوارى خلف البنى اللغويّة،وخلف الحسيّ والظاهر والقريب والسطحي.والدراسة إذ تتوقف عند آراء عزمي بشارة،فإنها في الوقت نفسه تكشف عمّا يقابلها،فكلّ رأيٍ يؤشّر إلى نقيض ما يرى وفق هذه القراءة الطباقيّة،وهذا النصّ شبيهٌ بالشخصيّة الملثّمَة التي تخفي ملامحها باللثام،ويشكّل هذا التخفّي حافزاً للتجلّي والانكشاف.

تنشغل هذه الدراسة بالآليّة الفنية واللغوية التي كُتب بها النص،بوصفها أداة من أدوات التأثير وإقناع المتلقي.كما تنشغل بالبحث عن"الثقافيّ"و"المعرفيّ"اللذين يثويان في"اللغويّ"ويتواريان خلف هياكله التركيبيّة من أنساق.وتطرح قضايا انشغل بها الناس عامة،فتزامن الانكتاب اللغوي مع الانكتاب الحياتي،بمعنى أننا أمام نَصّين في الوقت نفسه:نصّ تخلّق باللغة،في الوقت الذي يتخلّق فيه نصُّ الحياة الجاري مادام كورونا حاضراً.

قسّم بشارة نصّه إلى اثني عشر محوراً،عبّر في كل محور عن رأيه في عدد من القضايا،مستعرضاً آراء غيره ومحاوراً ومناقشاً اتجاهات وآراء وطروحات يتداولها الناس في حياتهم اليوميّة.وآثرت الدراسةُ أن تقف عند القضايا التي طرحها حسب العنوانات التي وضعها صاحب النصّ بالترتيب نفسه،لتبرز مضامينها وتناقشها وتكشف عن المتواري فيها،مستعينةً بالسيميائيّ الثقافيّ.

**عتبة العنوان:"جَبْرُ الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلّمنا الوباء؟"**

والعتبة نصٌ مكثّف للمتن النصيّ،تعرّف بالنص وتدلّ عليه،وعبرها يتصل المتلقي بالنص لقراءته وتأويله،ويطلق عليها،أحياناً،النصّ الموازي أو النصّ المصاحب،والعتبات"بنيات لغويّة وأيقونيّة تتقدّم المتون وتعقبها لتنتج خطابات واصفة لها تعرّف بمضامينها وأشكالها وأجناسها،وتقنع القرّاء باقتنائها،ومن أبرز مشمولاتها:اسم المؤلف،والعنوان،والأيقونة،ودار النشر،والإهداء والمقتبسة،والمقدمة..."[3].

وهكذا،يشي عنوان مقالة بشارة بالدعوة إلى التضامن مع الإنسان عندما تنكسر مشاعره وعواطفه،ويحضّ على التآلف معه ومؤازرته،بجبر خواطره الكسيرة،وهو جبرٌ عاطفيّ وجدانيّ يترجم إلى سلوك تضامنيّ تسود فيه روحُ الجماعة على روح الفرد.

يُقصد بِـ"زمن المخاطر"الزمن الذي حلّ فيه وباءُ الكورونا في العام 2019 وحملَ معه مخاطرَ للعالم وَسَمَتْ الزمنَ بِـ"زمن المخاطر".ويشير العنوان إلى رؤية النصّ التضامنيّة مع مَن انكسرت خواطرهم من البشر بصرف النظر عن العرق واللون والزمن واللغة والمكان والانتماء،فكانت"الإنسانيّة الجامعة"هي المبتغَى.ويشير هذا المنحى الاستبداليّ الإحلاليّ إلى مركزٍ يمتلك سلطة تجعل منه مصدراً للتأثير على غيره من التابعين.وإذا نقلنا هذه الرؤية وطبّقناها على السياق الذي حلّ فيه فيروس كورونا وما رافقه من مواقف تنسب له كلّ خطيئة وأذى في الحياة البشرية،نجد أنّ هذا النصّ يفصل بين ما جاء به كورونا واقعاً وما رُمي به.ويبدو في العنوان أنّ كورونا شبيه بالمعلّم الحكيم،بدليل الإشارة إليه بضمير المفرد مقابل الإشارة إلى الجماعة المتلقية بضمير الجماعة،خلال هذا التساؤل:"ماذا يعلّمنا الوباء؟".ثم إنّ الفعل"يعلّم"يتضمّن اعترافاً ضمنيّاً بأهميّة ما يجري تعلّمه وصار علامة ودالّة وإشارة فارقة في حياة المتعلّم من حيث الجدوى والتأثير.

فيروس كورونا مرآةٌ مكبّرة للحديث عن قضايا مهمة في الواقع،تمّ النظر إليه من زوايا مختلفة،وهو منصّة للحديث عن أهمية الفلسفة للإنسان.وأثار أسئلةً فلسفيّة فكريّة،وقضايا تتصل بالعنصريّة والتمييز والمساواة والمركزيّات،كالمركزيّة الغربيّة والمركزيّة الاجتماعيّة ومركزيّة الطبيعة ومركزيّة الإنسان.

-2-

**أ-الطبيعة والحياة الطبيعية**

وقف بشارة في القسم الأول من نصّه عند مفاهيم الطبيعة،ومنها مفهوم"الحياة الطبيعيّة"ودلالاته،ومفهوم"الطبيعة الطبيعيّة\الفيزيائيّة"وتمنّى العودة إلى حياة الطبيعة التي

وصفَها بِـ"الطبيعيّة"،وأشار إلى فوات الاستمتاع بربيع الطبيعة في العام الذي حلّ فيه فيروس كورونا بسبب الحظر الإجباري،وشاعت لغةٌ يقينيّةُ الانقضاء،وصارت حكماً إنجازيّاً ماضياً من المحال عودتُه مرة ثانية.

ويرى إلى مفهوم"الحياة الطبيعية"بمعنى"الحياة العاديّة"قبل كورونا بما يفارق مفهوم"الطبيعة الطبيعيّة\الفيزيائيّة"،وعبّر عن دهشته من دعوات مَن يتمنّى العودة إليها،لأنه وجد أنّ الحرب والخلاف والفساد والخوف والاقتتال تشيع في الحياة التي وُسِمت بِـ"الطبيعية"أو"العادية"،إلى حدّ صار ذلك كلّه أمراً"عاديّاً"وحياة"طبيعيّة".

وانفتح الحديثُ بعد ذلك على"الطبيعة البشرية"التي تقوم في جانب كبير منها على الشرّ والصراع،والبقاء للأصلح،والأصلح هو الأقوى،مما يستدعي أفكار داروين حول الصراع من أجل البقاء،والبقاء للأصلح الذي هو الأقوى،وعلى الضعيف أن يرحل أو يُرحّل بالموت،فصار القتل اختباراً للبقاء والوجود،فقد قال داروين بالتناحر بين الكائنات الحيّة من أجل البقاء؛ولأنّها محكومة بالتكاثر، صار الصراع بينها ضرورة لبقائها(وإذا نظرنا في سنن التناحر على البقاء،نظر المتأمل،فلا نلبث أن نوقن بأن هذه الحروب الطبيعية غير متناهية،أو غير قابلة للانتهاء،وأنه ليس هناك من خطر على الأنواع من جرّاء ما يعتورها من الهلاك،وأنه لا يبقى حيّاً منها أو يتضاعف عدده إلا الأنواع التي تهيء لها قوتها،أو كمال بنيتها الطبيعي سبيل الاحتفاظ بكيانها)[4].وهكذا،تمجّد الداروينيّة العنف،وتمّ التعبير عن ذلك خلال ما شاع من مقولات تمجّد الصراع والعنف والحرب وتحتفي بها،مثل مقولة البقاء للأقوى،ومقولة الحرب فضيلة،وغير ذلك،وتقترب أفكار داروين هذه من أفكار هوبز صاحب المقولة الشهيرة"الإنسان ذئب الإنسان"وأنّ الذئب الحقيقي هو الإنسان،وهو يرى أنّ الطبيعة البشرية تقوم على التطاحن،وما دام الإنسان له حقّ البقاء،فله أيضاً حقّ استخدام ما يُتاح من وسائل في الدفاع عن نفسه،مما يعني أنّه في حرب مستمرة مع الآخر،ومن هنا تأتي الحروب،وبدونها لا يبقى[5].

تنهض أطروحةُ عزمي بشارة الرئيسة على أنّ كورونا أقلّ ضرراً وأذى من الأذى الذي يأتي به البشر،وذلك بالاستناد إلى ما يدور في الواقع اليوميّ المشخّص،و(يرى بعض الناشطين البيئيين،أن المشاكل البيئية لا تقل خطورة عن انتشار فيروس كورونا) (6)وترى أطروحة بشارة أنّ"غير الطبيعيّ"الذي جاء به كورونا أقلّ ضرراً من"الطبيعي"الذي يأتيه البشر ويتمنّون العودة إليه(هل نعود إلى"حياتنا الطبيعية"مع عودة الحروب الأهليّة في سورية واليمن وليبيا لتصدّر الأخبار بدلاً من فيروس كورونا،ومعها تصريحات ملوك الطوائف،وأفاعيل أمراء الحرب ...؟!..)[7]،ليتبيّن أخيراً أنّ الوباء الحقّ ليس في كورونا الفيروس البيولوجيّ بل في الحرب الأهليّة والقتل ونظام

التفاهة وتسطيح الجوهريّ،وهذا ما تنهض به القراءة الطباقيّة بما توفّره من آفاق التأويل وتوسّع فضاء المصطلح وتنقله من المعنى القريب إلى المعنى البعيد المتواري،ومن الحسيّ إلى غير المنظور،ومن المرئيّ إلى غير المرئيّ،ومن السطحيّ إلى العميق،بتوظيف صيغة التساؤل الإنكاريّ الذي يعرض أمرين ويرجح أحدهما،ويلحّ على بيان خسارة الطرفين مؤكّداً أن الخسارة التي تتحقّق بيد الإنسان أكبر من الخسارة التي تتحقّق بسبب كورونا،وليتبيّن أيضاً أنّ طريقة النظر إلى الأشياء هي التي تحدّد الدلالة والمفهوم،وبمعنى أوضح إنّ طريقة النظر إلى كورونا وما يرافقه غير طبيعي،مثلما أنّ الاحتراب والاصطراع الإنساني غير طبيعي أيضاً،فهذا الفيروس يقول(الشيء الكثير عن انفصام عرى العلاقة بين الإنسان والطبيعة،ويقول أكثر عن انفصامها بين الإنسان والإنسان...)[8]و(يعيد الطبيعة إلى مركز اللعبة)برأي ميشيل ديبويي[9]،وكانت هذه العلاقة أيضاً مدخلاً لحديثٍ عن مركزية الطبيعة ومركزيّة الإنسان في الوجود.وقد ذكر حمادي أنوار[10]أنّ فيروس كورونا يدعو الإنسان إلى أن يعيد ترتيب علاقته بالطبيعة الإنسانية والطبيعة بمعناها الميتافيزيقي،ويفتح وعيه الإنساني على خطر وجوديّ حين يواجه الموت والمرض.غير أنّ بشارة يرفض هذه المقولة ويرى أنه وعلى الرغم من أن الطبيعة أقوى من الإنسان،إلاّ أنه يسخّرها في خدمته،وهو خضوع يدخل في باب الحتميّات الطبيعيّة(لا نحتاج إلى الوباء وضحاياه لندرك أنه لا بديل من التفكير العقلاني والأخلاق الإنسانية في التعامل بين البشر،قبل الوباء وبعده،والتواضع في العلاقة مع الطبيعة بما فيها جسم الإنسان،على الرغم من أن أساس منطق العلم هو السيطرة على بيئة الإنسان،واكتشاف قوانين الطبيعة لتسخيرها لصالحه)[11].ويؤكّد بشارة أهمية فهم درس كورونا الطبيعي حول العدالة،مقابل"توحش الإنسان"،وأهمية الوعي بأنّ(الموت فعل طبيعيّ،كونيّ وعادل.أما القتل،فإنه جُرم إنساني،متزمّت وجائر)[12].لذا ظهر كورونا في هيئة"حكيم"يقرع أبواب الكون محذّراً ومنبّهاً(إن الطبيعة تجبرنا اليوم على أن نصغي لها في تواضع،وأن نختار بين الوجود أو التملّك)[13].

ومن يدقّق في المفردات التي صاغ بها بشارة نصّه،يدرك أنه مسكون بالرؤية الأخلاقيّة في تعامل البشر مع الطبيعة والإنسان،لذا توقف عند الطبيعة بوصفها موضوعاً للهيمنة،يمارَس عليها ما يمارِسه المستعمِر على البلدان التي يستعمرها،ويردّ على مَن يحاول أن يُكسِب الرؤيةَ الاستعماريّة شرعيّةً تجعل ممارساتها مشروعة وحتميّة طبيعيّة أيضاً،بدليل أنّ النصّ يمور بمفردات السيطرة والتسخير والخضوع والاحتلال الخارجي والهيمنة القادمة من الحقل الكولونيالي،وقد أشار بوضوح إلى المحتلّ الخارجيّ(ولكن يجب أن ندرك أننا لا نسيطر على قوانين الطبيعة مثل محتل خارجيّ،بل نبقى جزءًا منها خاضعين لها،ولا توجد طريقةٌ لأن نسيطر عليها من خارجها؛فهذا وهم)[14].

فـ"الطبيعيّ"الذي يجمعُ طبيعيّةَ الحياة البشرية وطبيعيّة علاقة الإنسان بالطبيعة هو إدراك الإنسان أنه هو الخاسر بفعل كورونا والإنسان معاً،يدعم ذلك ما شاع في النص من مفردات تدلّ على الخسران والفقد والتوسّل والتلاشي والاختناق وضياع الهويّة وتحوّل الاسم إلى رقم،والصيغ التي تعبّر عن الهوان واستجداء الرحمة والنجاة باستخدام صيغ التفضيل،فالإنسان أضعف من الطبيعة،حتى عند مَن ينتصر في حربه مع الإنسان،فهو محكوم بالهزيمة أمام قوة الطبيعة،وعلى البشر أن يعوا هذا الدرس من دروس كورونا كي تنجبر الخواطر،وذلك سرّ عنوان هذا النصّ"جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلّمنا الوباء؟"وينطبق هذا على الأوبئة كلّها التي فتكت بالبشريّة مثل الطاعون والكوليرا والملاريا والإنفلونزا وإيبولا والسل التي تحوّلت إلى دروس،فكان على البشر أن يحسنوا الإصغاء إلى دروس كورونا البليغة وخطاباته الحكيمة.

ويتسع مفهوم"الحالة الطبيعيّة"ليعني الوعي على"إنسانيّة الإنسان"بمعنى"الطبيعة الإنسانيّة الخيّرة"،لقد(أيقظ هذا التلازم بين العالمي والفردي العلاقة المباشرة بين الإنسان وإنسانيته.وربما كان هذا الأمر الأكثر طبيعيةً من بين الأمور التي حصلت لنا منذ زمن بعيد.إنه شعور الفرد بإنسانيته في حدّ ذاتها ولذاتها،وعجزه أمام الطبيعة في الوقت ذاته،وحالة اللايقين،....هل يوجد ما هو أكثر طبيعيةً من هذا كله؟)[15].

يتوقف النصّ عند الصور التي تشكّلت ازاء"الحالة الطبيعية"،فبدت في صورة"الجنّةالمفقودة"والحياة التي تقوم على الخير أحياناً،وفي صورة"الجحيم"والحياة التي تقوم على الشرّ والصراع أحياناً أخرى(ومن باب التداعيات،تخطر بالبال"الحالة الطبيعية"الفلسفية التي يتصوّرها بعضهم"جنةً مفقودةً"، وبعض آخر يصوّرها جحيمًا من الفوضى و"حرب الكل ضد الكل")[16].غير أن الحالة الطبيعة لا تتحقّق.والأَولى النظرُ إلى"الطبيعة الإنسانية"بدل النظر إلى"الحالة الطبيعية".وكان من الطبيعي أن يتحدّث عن الخوف الذي ولّده كورونا،ومنه الخوف من الموت والمجهول مقابل حب البقاء وحب الحياة،والخوف من المجهول(وتتضمن طبيعتنا الإنسانية الخوف من المجهول،والتعلّق برجاءات وبشارات،مثلما تتضمن العقل والتفكير والقدرة على الكلام،وتجمع الأثرة وحبّ البقاء مع الإيثار والبحث عن تقدير الآخرين.ويقود الصراع من أجل البقاء إلى محاولة التغلب على العجز أمام الطبيعة واللايقين،بالعقل والمعرفة،وبالخيال وبالغيبيات)[17].

ويثير الحديثُ عن الحياة العادية الحديثَ عن تجاوز حالة الاستثناء والطوارئ(التي تعيشها البشرية جمعاء، وهي باختصار حالة خوفٍ مشتركة)[18]ومن غير الطبيعي أن تسود حالة"الاستثناء"،فالاستثناء أن يسود غير الطبيعي وغير الطبيعة الإنسانية.

ينظر بشارة إلى كورونا من منظور فلسفي طرح خلاله قضايا فلسفية ووجوديّة وكونيّة،وتحدّث عن موضوع الحرية الإنسانية مقابل الحتميّة الطبيعية،وموضوع اليقين مقابل اللايقين،والموت والحياة،والفناء والخلود،والزمن والمكان،والخير والشرّ،والجسد والروح،والمرئيّ وغير المرئيّ،والمحسوس وغير المحسوس،والمغلق والمفتوح،والرحيل والمصير الإنساني وموقع الإنسان في الكون وعلاقته بالإنسان والطبيعة،والقضايا التي تدور في فلك هذه الأقطاب،فما كان يُظنّ أنه خالد وأبديّ،سقط أمام كورونا المجهول غير المرئيّ،فكان التغير والفناء والموت والمؤقّت أصلاً،والحتميّة قانون الحياة الأزليّ،وشكّل(صدمة وعي ثقافي جديد، تجعلنا نفكر من جديد في وزن الإنسان وفي مكانته المزعومة في هذا الكون بوصفه مركزاً في الكون وصانعاً للحضارة وبانياً للقوّة والمجد)[19].

وكما يثير كورونا أسئلةً كونيّةً حول الوجود والموت والإنسان والطبيعة وحول(أكثر القضايا إثارة للوعي الفلسفي الجديد الذي يتعلق بمركزية الإنسان وهويته وانزياحاته المستمرة عن مركزية الكون؛أي بوصفه غاية للوجود وصانعاً للتاريخ وبانياً لأمجاد الحضارة الإنسانية.)[20]فإنه يثير في الوقت نفسه أسئلة حول الإنسان وتدخّلاته في المخلوق والحياة الإنسانيّة في مجالات السياسة والاقتصاد والفكر والاجتماع والأدب والفن والدين والفلسفة[21]،ويثير الحديثَ عن الطبيعة الإنسانية في ظل الخوف والموت،وروح التعلّق بالحياة والحفاظ على البقاء[22].وهكذا،يُنظر إلى كورونا بوصفه خطاباً ينبّه الإنسان إلى أن يعود إلى طبيعته الإنسانية بعد أن غادرته روحه الإنسانية،وبوصفه(نداءً من الطبيعة لكي نعود إلى ذواتنا،فنهتم بالحياة والإنسان،وبالطبيعة نفسها.إنه نداء طبيعي،بعد أن فشلت الإنسانية في إطلاق هكذا إشارات،وغطَّت في سبات عميق وعقيم أفقد الحياة معناها)[23].

وقد حرص بشارة أن يوظّف رموز القوة المعاصرة التي تؤشّر إلى الخطاب الكولونياليّ.وهكذا،تعلي المقالة في هذا المحور من الطبيعة الإنسانيّة وليس الطبيعة الطبيعية فقط،وتركّز على الإنسان بالدرجة الأولى.ثمة مقابلة بين"اللحظة الطبيعية"و"اللحظة الاستثنائية"التي شاع فيها الخوف والقلق على المصير وإعلان حالة الاستنفار العالمي خوفاً من الخطر المحدق بالإنسان أثناء جائحة كورونا(هذا هو الخوف الحقيقي بفعل الطبيعة،خوف وحّد العالم وتحكّم في إيقاعه)[24].وقد رفض الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين التعامل مع أزمة كورونا بوصفها حالة استثناء،خوفاً من أن تتخذ الدول منها مبررات لتوسيع سلطات استثنائية وحالات استثناء مستمرة باسم الحفاظ على السلامة والصحة العامة،وجاء ردّ الفيلسوف الفرنسي جان لوك نانسي أنّ الاستثناء صار هو القاعدة،فالبشرية أمام لحظة تاريخيّة حضاريّة

استثنائيّة،وأمام نوع من الاستثناء الفيروسي-البيولوجي،وأمام نوع من الاستثناء العلمي والتقني،وأمام نوع من الفيروسات الكونيّة يُسمّى بالجائحة[25].ويرى تشومسكي أن من إيجابيات فيروس كورونا أنه يحذّرنا من الخطر الذي يلوح في المستقبل،وأنّ حالة الاستثناء التي نعيشها في ظل كورونا ويتحكم فيها"أسياد النيوليبرالية"جعلت الديمقراطية في خطر[26].

وقد فتح هذا الوباء أمام الكاتب فرصةً للحديث عن الهيمنة والتسخير والاستعباد،لينتهي إلى درسٍ آخر من دروس كورونا الطبيعي وهو أنْ"لا حريّة في الطبيعة"وبهذا تبدو الطبيعة أقوى من الأحرار،تهيمن عليهم ويخضعون لها،في الوقت الذي يستعبدون غيرهم من البشر،فهم عبيدٌ يستعبدون عبيداً(معرفة الحتميّات الطبيعيّة قاعدة مهمّة للحرية الإنسانية،فلا حرية في الطبيعة.ولكن قد يستعبدنا الاعتقاد أننا سيطرنا على الطبيعة من خارجها،فنرتكب،بناء على هذا الاعتقاد،حماقاتٍ أخرى)[27]وأشارَ إلى شكل آخر من العبودية هو عبودية الأفكار.

ليس وباء فايروس كورونا منبتّاً عن وباء الفكر العالمي الذي يعتمد على الهيمنة والاستحواذ،ولا عن قضايا الفصل العنصري،ولا عن ممارسات القوى العظمى،وهو ما عبّرت عنه المفردات والصيغ التي تشير إلى عدوى الخضوع والاضطهاد وقبول الاستعباد والتهميش والفرائس الضعيفة والطرائد والموت والألم وتحويل البشر إلى أرقام وشيوع خطاب الأرقام في الخطاب الإعلامي،وبالتالي،كان كورونا منصّةً للحديث عن قضايا معاصرة هي أصل الوباء الحقيقي في حياة البشر متجلّياً في دوائر الهيمنة(مع ظهور السياسة الحيوية،صارت العنصرية وسيلة لتجزئة المنتظم البيولوجي)[28].

أثار كورونا أسئلةً حول العنصريّة والتمييز والأوبئة الأيدولوجيّة،وربط الوباء المرضيّ بالوباء الأيديولوجيّ،والجسد المريض بالمجتمع المريض،وشاعت مفردات لغويّة تستخدم في حقلَيّ الوباء المرضي والوباء الأيديولوجي،مثل "العزل"و "الضغط"و "الحجر" و"الانفجار"و "الانتشار"و"الغلق"و"الإبادة"و"الضحايا"و"إقامة الحدود"و"التهديد"و"العقوبة"(وشاعت مفردات تتعلّق بالمصابين ومن يشتبه بهم أنهم مصابون بوصفهم"آخرون\أعداء"و"هم"يهدّدون وجودي ووجود"النحن" و"الأغلبية")(29).

يركّز النصّ في محوره الثاني على"الإنسانيّة"وعلى ما يجعل منها أولويّة لا تتجاوزها أولويّة أخرى،والاحتفاء بها بالمعنى الأخلاقي،ويركّز على أهمية الفلسفة في حياة البشر،فهي ضرورة من ضروراتها لارتباطها الحيوي بحياتهم،لذا دعا إلى"فلسفة إنسانيّة"لا إلى فلسفة تدير ظهرها للإنسان،بل إنّ العناية به هي التي تعطي للفلسفة معناها الحقيقي،وبالتالي،لا قيمة لفلسفةٍ لا تجعل الإنسان أولويّتها.وهذا البعد الإنساني هو معيار التفاضل والتعاطف والتقدير عنده(قلبي

مع الأطباء والممرّضات والعاملين في المستشفيات)[30]ويرفض التقدير الذي يصدر بحسب الطبقة والمصلحة،والنقد المؤقّت والظرفيّ بعيداً عن المشترك الإنساني،كما في حالة تقدير العمال أثناء فترة كورونا فقط،ولو كان هذا التقدير إنسانياً لكان تقديراً دائماً،مع كورونا أو غير كورونا.ذلك أنّ البحث عن خلاص البشريّة،يكون بالنظر إلى الإنسان بوصفه غاية كل شيء[31]،وهو ما أكّده علي الهلول في قوله(فالتأسيس لفعل المقاومة من أجل حياة خالية من الوباء... بحاجةٍ إلى عملية مراجعة جذرية لمعنى الحياة الإنسانية ولمعنى التأسيس لفلسفة قوامها ايتيقا العيش المشترك أو العيش معاً....،فعالمنا بحاجةٍ ماسّة إلى التأسيس لأفق كوني إنساني تلتقي فيه كل الأفكار بعيداً عن الإيديولوجيات المقيتة)[32].

يفكّك هذا النص مقولات الذين عزوا كلّ طارئ لكورونا،ورموه بكل نقيصةٍ وخطيئة،ووجدوا فيه فرصةً للحديث عن المآلات والمصائر والنهايات و"الما بعديّات"،وحافزاً للتعبير عن تصوّرات ونظريات ونبوءات حول شكل عالم المستقبل المفترَض،ونصّبوا من أنفسهم متنبّئين وأنبياء،وحمّلوا الحداثة والتطوّر ونمط الحياة المعاصرة والديموقراطية والشمولية والغضب الإلهي المسؤولية عن هذا الوباء(تارّة يتهمون الحداثة،وطورًا النيوليبرالية،والتديّن والكفر،والديمقراطية والشمولية.كأن الوباء مناسبة لتأكيد مواقفهم،ومناسبة للتعبير عن الغضب)[33]ويرى أنه من غير الممكن أن نردّ كل شيء للوباء(كثر "أنبياء الغضب"الذين يُحمّلون التطور و"التقدّم"ونمط الحياة المعاصر المسؤوليةَ حتى عن الوباء)[34].ويعمد دائماً إلى الوقائع،ويتخذ منها ورقة حجاجيّة في أطروحته الإقناعيّة التقويضيّة الدفاعيّة،فيذكر أنّ البشر تعرّضوا عبر التاريخ إلى أوبئة حصدت أرواحاً أكثر بكثير مما حصد كورونا،لأنّ العلم الحديث قلّل من آثار الأمراض وتداعياتها،ومع ذلك جعلوا كورونا لعنةً،ووظّفَ الأسلوبَ الساخر الهازئ في ردّه،وعارضَ رأي الاتجاه الديني الذي يرى أنّ الفيروس عقابٌ إلهيّ.

توسّع القراءة الطباقيّة مفهوم"الوباء"وتدرك تواضع وباء كورونا المرَضيّ الفيروسيّ أمام وباء كورونا الحقيقي الذي يتمثّل في ازدواجيّة المعايير في النظر إلى الأمور،وفي المفارقة بين الفكر والممارسة،وفي قصور العقل العربي الذي ينتظر منجزات العقل العالمي دون أن يشارك في تشكيل هذا العقل أو بناء عقل خاصّ به،في الوقت الذي يستخدم فيه منجزات العقل الغربي في ذمّها واتهامها،ذلكم هو الوباء وليس وباء كورونا الفيروسي(أنت تتابع أبحاث العلماء في مختبرات دول أخرى وقارّات أخرى وتجاربهم بشأن اللقاح والعلاجات، وتنتظر نتائجها. وينتظر نتائجها معك من يكفّر الباحثين والعلماء أيضًا، مثلما يستخدم منتجات العلم والابتكار والصناعة في الدول الغربية ودول شرق آسيا في حياته، ويستخدم كذلك أجهزة الاتصال ووسائل التواصل الاجتماعي المطوّرة

في الغرب والمملوكة من شركات غربية، لذمّ تلك الحضارات،ولنشر أفكاره بشأن تفوقه عليها جميعًا.ستتواصل القطيعة والتنافر الإدراكي بين التفكير والممارسة،فهذه أمور لا يحلّها التعامل مع الوباء)[35]وهو حريص أن ينهي فقراته برأي ينتهي إليه بعد النقاش.

يرى بشارة أنّ العلم الحديث جعل البشريةَ تعيش حالة خوف في زمن واحد،بعد أن قرّب الأمكنة،وغيّر في مفهوم الجغرافيا،ويرى أنّ الوباء الحقيقي يتمثّل في توجيه الضجّة الإعلاميّة لغايات متعدّدة من أبرزها الغايات السياسيّة والاقتصادية،وتسييس المرض والطبّ والعلم والعقل واتخاذها أداةً في الهيمنة(تكمن"حداثة"الوباء في إنتاج التزامن ليسهم تقارب الهموم والاهتمامات في تخيّل الانتماء إلى جماعة ضخمة هي "الإنسانية")[36].ويرى إلى إيجابيات فيروس كورونا وجماليّاته،ويحتفي بقدرته على اكتشاف المشترك الإنساني،مما يجعلنا نقول:لقد أنجز الوباء"حداثته الخاصة"أكثر من العولمة،بما أفرزه من رعب كونيّ وحّد البشريّة وجعلها تعيش لحظة إنسانيّة جامعة،بالاستعانة بما وفّرته منجزات العلم الحديث.وهكذا،كان للحداثة أثر في عولمة الإحساس بالخوف والرؤية إلى المكان والزمان،جعل البشريّة تدرك تداعيات كورونا (إن ما تعيشه البشرية حاليًّا ليس مسألة فيروس صغير أو فيروس كبير، بل توقع الإنسان أنه يمكن أن يحصل له مكروه،لأن الخطر نفسه يحدق به مثلما يحدق بأي شخص آخر في الوقت ذاته)[37].وفي هذا السياق يشير تشومسكي إلى لحظة تاريخية حاسمة للإنسان،ويدعو إلى التخلص من العيوب التي تضرب النظام الاقتصادي والاجتماعي العالمي،والسعي لتأسيس نظام عالمي إنساني يضمن مستقبلاً للبشرية ويحفظ بقاءها[38].

-3-

**أ- الجسد**

تبرز أهميّة الجسد الإنسانيّ في موضوع المرض والوباء في أنّه هو موضوع المرض وغاية العلاج،فهو الذي يمرض،وهو الذي تسعى الأجهزة الصحيّة إلى علاجه من أجل الشفاء.وهو موضوعٌ خصب للتأويل،إذ تمكّننا القراءة الطباقيّة من مقاربة"الجسد الاجتماعي"في"الجسد الإنساني"ومعاينة المعنى والروح والقيمة الإنسانية،وموضوعات ذات علاقة به،كالهيمنة والأسر والحجر والعزل والخضوع والتسليم والبقاء والموت وغير ذلك.

ويرى بشارة أنّ عظمة الإنسان أو ضعفه ليس في جسده بل في عظمة الخالق الذي خلقه على مثاله،واستند إلى ما ورد في القرآن الكريم من أن عظمة الإنسان تبدو في عظمة الأمانة التي كُلّفَ بها وناءت الجبال بحملها﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[39].وسلكَ سبيلَ المنطق في إبطال رأي مَن يناقشه،ولجأ إلى استيراتيجيّة حجاجيّة عرض خلالها الرأي الآخر،لينتهي إلى الإفصاح عن رأيه بوضوح مغموس بالسخرية أحياناً.وقد بنى أطروحته بناء محكماً،واتبع خطّة مخصوصة في الإبطال والتقويض وبناء المعنى الجديد بما يفضي إلى إقناع المتلقي(لا تتجلّى عظمة الخالق في تفاهة الإنسان،بل في عظمة الإنسان،ولا تتجلى في هزيمته أمام الفيروس،بل في تغلّبه عليه.ألا نسترجع آي الذكر الحكيم؟)[40].

ويبدو أنّ بشارة معنيّ بالمصطلحات ومدلولاتها الخفيّة،وبمعنى أوضح بمدلولات ماوراء الحسّي والظاهر والقريب والمرئيّ،لذا طرح مفهوم"التباعد الجسدي"بديلاً عن مفهوم"التباعد الاجتماعي"،وإذا كان الأول يتعلّق بالمسافة التي تفصل الجسد عن غيره من الأجساد بما يحافظ على خصوصيته واستقلاله ومجاله الخاصّ،فإنّ الثاني يتعلّق"التباعد الاجتماعي"والفوارق الاجتماعية والمستويات المعيشية بين الأفراد والمجموعات والمجتمعات.وانسجاماً مع هذا،كان من الأولى أيضاً الالتفات إلى"مسافة شعورية"أكثر من"مسافة مكانيّة"،كي لا يتحقّق انتهاكٌ وتدخلٌ واستباحة للخصوصية الشعورية بانتهاك خصوصية الجسد،ذلك أنّ الصور المسيئة هي انتهاك للخصوصية الشعورية قبل الجسدية.ثمّة اضطراب،إذن،في المصطلحات وليس في المفاهيم،والخلاصة أن كورونا لم يأت بِـ"التباعد الجسدي"،ذلك أنه مألوف لدى المجتمعات قبل كورونا وبعده وسيظل كذلك.

ويبدو أنّ هذه المفاهيم التي تتصل بالجسد ذات نسب بالخطاب الاستعماري،لاسيما في ما يتعلق بالحفاظ على مجالات الأجساد الخاصة،وهي المجالات التي ترى فيها الدولُ استقلالَها،ولا تتعرض للاستباحة والانتهاك،بمعنى الاعتراف أنّ للأجساد حمىً خاصة ومجالات حيويّة خاصّة ترمز إلى استقلالها وسيادتها كما للأوطان.ثمّة علاقة تربط الجسد المريض أو الأسود بالاستعمار والعبوديّة(والفكرة الهادية هي أنّ الصلة التاريخية بين الحداثة والأوبئة هي ليست عرضية،بل هي جزء أصيل من هويتها الأخلاقية)[41].ونلحظ وعياً بالمركز والهامش يرافق شيوع كلمات(اللمس والاقتراب من الجسد وحماه ومسافة تضمن عدم اختراق الخصوصية،والوعي بغياب الإحساس ومراعاة شؤون الآخر،وفرض رؤية الآخر والتنظير له من الآخر دون وعي ظروفه)[42].وتشيع مصطلحات الانتهاك والدفاع عن الخصوصي ضد الإكراهات التي يتعرض لها المرء،مما يوحي

بأجواء حربيّة غير طبيعية.وصارت مراعاة المسافة بين الأجساد عنوانَ التحضّر والتهذيب،والأَولى للاهتمام بالمسافة الشعورية لا الجسدية أو المكانيّة فقط(لكن يستحيل الحفاظ على المسافة اللازمة للحفاظ على خصوصية الجسد،والحفاظ في الوقت ذاته على التعبير عن مشاعر الود والصداقة،وعدم كبت تعبيراتها الجسدية) [43]أو التدخل في حياة الآخر وفرض الأذواق والفضول.

يتحدث النص عن حجْر منزلي لأجساد البشر،وعن دعوات يلقيها مَن يملك سلطةً أعلى تخوّله إلقاء أوامر واجبة التنفيذ من الجهة التي تتلقّاها،عبر أكثر من صيغة،مثل("خلّيك في البيت"،أو"احكمْ دارك"،أو"خلّيك بالدار"أو"ما تطلعْ من البيت!"أو"الزمْ بيتك")أي ابقَ فيه. وتبعث هذه الدعوة في النفس (قلقًا نفسيًّا حقيقيًّا،وترتّب عليه سلوكات جزئيّة في التعقيم لو صُوِّرت مشاهده لضحك المرء)[44].

واتخذ من مفردة(السطح)الماديّ مدخلاً للحديث عن سطح الظاهرة وعمقها وعن اللاوعي والوعي،وعن تسلّل الخوف إلى أعماق اللاوعي عبر سطح الوعي،ممّا جعلها مؤهّلة للقراءة الطباقيّة حول"الفيروس النفسي"الفيروس الحقيقي الذي يزرع الخوف ويستعصي على العلاج،وحول"المناعة النفسيّة" في مقابل"المناعة الجسديّة"(فالخطر لا يُشم ولا يُرى ولا يُسمع، وأيٌّ منها لا يجيب عن حيرته المزمنة التي تسكن في لاوعيه وتطفو على "سطح" وعيه مرّات عديدة)[45].وخلف الضحك والسخرية والنادرة التي تبدو في سطح الحالة النفسية قد يقبع الخوف والتوتر في الأعماق(فحيث تفشل المناعة الجسدية في مواجهة فيروس كورونا، قد تنجح المناعة النفسية في مواجهة فيروس الخوف)[46].

كما أنّ رؤية بشارة تتجاوز دعوات السلطة تعقيم الجسد المادي إلى"تعقيم التفكير"و"تعقيم الرؤية"ومواجهة النزوع نحو الشرّ والاستحواذ،ولماذا لا يتمّ الحديث عن تعقيم الأفكار والرؤى التي ترسّخ أفعال الاستحواذ؟!لماذا لايجري الحديث عن تعقيم أفكار مَن يأخذون بمصطلح نقاء العرق والدم واللون في الخطاب الكولونيالي،لماذا لا يتمّ تعقيم أفكار مَن يوقدون الفتن ويشعلون الحروب؟!

وينفتح الحديث لمناقشة قضايا تتصل بتسليع الجسد والقيمة الأخلاقية له،وحول مقايضته وأسره وتسليمه والتنازل عنه مقابل الشفاء وتخفيف الألم،وبوصفه حقل تجارب واختبارات،ومصدر بيانات(في هذا العالم، لم تعد علاقتنا، بوصفنا بشراً، مع الأشياء هي التي تصنع المستقبل، وإنّما هي علاقة بين أشياء (الإنسان الجديد)،وبين أشياء أخرى.في عالم التكنولوجيا والسرعة الفائقة، ليس هناك مكان للميتافيزيقيا.)[47].ويؤكد محمد العاني ذلك في قوله(هذا العالم الذي صنعناه مصمَّمٌ لخدمة الأشياء،لخدمة الإنسان، باعتباره شيئاً.)[48].وفي

هذا العالم لم يعد يُنظر إلى الإنسان بوصفه قيمة أخلاقية،بل بوصفه وعاء لاستقبال المرض ونقل العدوى إلى غيره[49].

والحديث عن الجسد فرصة للحديث عن التعامل الإنساني مع المريض بوصفه جسداً إنسانياً\إنساناً،وفرصة للتمييز بين"خبير الجسد"و"طبيب الجسد"،فالأول يتعامل مع الجسد الإنساني(بوصفه موضوعًا للسيطرة؛ إذ قبلوا العمل في المعتقلات والسجون لتنفيذ أجندة سلطةٍ غاشمة، أو في إجراء التجارب على المعتقلين.)[50]وهنا يتحول الجسد إلى معتقل أو سجين،يُسخّر الطبّ للتطويع السياسي وخدمة أيديولوجيات ومرامي خاصة،وتاريخ مستشفيات الأمراض العقلية شاهد على ذلك.وفي ضوء هذا الوعي ناهض تسييس الأوبئة وجعلها نواةً لتوليد مركزيّة جديدة بإدخالها دائرة الصراع وتسخيرها أداةً في تشكيل مواقف سياسية في المستوى الدولي والداخلي على حدٍّ سواء.وقد أشار فوكو إلى القلق من تسييس البيولوجي،وإلى أهمية العمليات البيولوجية في صنع القرار السياسي[51].والخلاصة أنّه ثمّة علاقة متبادلة بين السياسة والطبّ نتج عنها تسييس الطب،وتطبيب السياسة[52] .

ب-الجسد والمساواة\التمييز :

يتخذ بشارة من الحديث عن التعقيم والحجْر المنزلي مناسبة للحديث عن المساوة بين البشر بوصفها حقاً إنسانيّاً،وينتهي إلى أن الوباء لم يحقّق المساواة بين البشر،عبر سؤالٍ إنكاريٍّ ردّ به على مَن يرى أن الوباء يحقّق ذلك،ويرى أنّ وحدة الظروف التي رافقت كورونا،لا تفضي بالضرورة إلى تحقيق قيمة المساواة ولا تجيء بنظرية للمساواة.

ويرى أنه لو تحقّقت المساواة،كان على كورونا أن يعلّمنا درساً في المساواة والعدل بين مَن يملكون البيوت ومَن لا يملكونها،وأن يردم الفجوة في مستويات مَن يملكون البيوت،فبين الكوخ والقصر بون شاسع(ثمّة ملايين من البشر بلا بيوت.ويُفترض أن تذكّرك الدعوة إلى البقاء في البيت بأن البيوت تتفاوت ما بين القصور والأكواخ)[53]،ردّاً على الفكرة التي أخذ بها جون لوك نانسي Jean-luc Nancy ،ومفادها أنّ فيروس كورونا"وضعنا على أساس المساواة،وجمعنا معًا في ضرورة اتخاذ موقف مشترك"،ويتفق ردّ بشارة مع ردّ لورينزيني بأنّ المساواة التي تحدث عنها نانسي هي مساواة بين الأثرياء والقادرين على امتلاك منزل يقضون الحجر الصحي فيه[54]وأنه ينبغي على الذين يرون أن كورونا حقّق المساواة بين البشر،أن يتوقفوا عند التمييز في المعاملة الطبية بناء على المستوى الاقتصادي،وعند التفاوت في امتلاك أدوات التعليم عن بعد،بل(إنه يعيد إنتاج عدم التكافؤ داخل المجتمعات وبين المجتمعات، فالتعليم عن بعد لا يجسّر الفجوة في الاستثمار في التعليم، ولا الفوارق في مستوى المعلمين وأعدادهم)[55].إنّ المساواة في الدعوة إلى الحجر المنزلي ينبغي أن

يترتّب عليها مسؤوليات اجتماعية وتحولات ثقافية في المفاهيم،ومنها ما ارتبط في ثقافتنا بين البقاء في البيت وبين الكسل وعدم الرغبة في العمل.

كما أنّ المساواة ينبغي أن تكون ممارسة دائمة وليست حسب المناسبات والمواسم(إن تعامل البعض مع كبار السن باعتبارهم عبئًا هو سلوك لا يغتفر.....هل يعقل أن تخضع شيخوخة الإنسان إلى قوانين السوق؟)[56].وطرح بشارة مفهوم(أخلاقيات العناية)إلى جانب مفهوم(أخلاقيات العدالة)للدلالة على التعاطف مع العجز الإنساني دائماً،وليس في زمن الأوبئة فقط.

تتجاوز القراءة الطباقية الحديث عن المساواة بين الأفراد في العناية الطبيّة إلى الحديث عن العنصريّة والتمييز وعدم المساواة في المعاملة بين الدول والمجتمعات،حسب الجغرافيا والعرق واللون والمواسم والمناسبات،وتسييس العناية الطبيّة والاتجار بالبشر،لهذا تُركت إفريقيا تغرق في الأمراض كمرض نقص المناعة لغايات سياسيّة وربحيّة(وأصبح جنوب الكرة الأرضية مستهلكًا أدوية الإيدز الثمينة التي تنتج في شمالها)[57]لماذا يغيب الحديث عن التمييز العنصري بين الشمال والجنوب،وبين إفريقيا والشمال؟ جاء كورونا خطاباً مضادّاً ومناسبةً للحديث عن قضايا إنسانية تتوق إلى وحدة إنسانيّة حول الهمّ الإنساني والوجع الإنساني والأمل الإنساني،ففي الوقت الذي يفتك فيه الإيدز بإفريقيا ويتراجع في معظم العالم يصمت الإعلام.وقد ربط فوكو بين الطاقة الحيوية والعنصرية[58].

ت-المستشفى والسياسة الحيويّة:

المستشفى مؤسّسة تحكمها قوانين خاصة تحدّد علاقتها بمتلقي الخدمة العلاجية،وتمتلك سلطة وصلاحيات وحدود مسؤولية،ومنها سلطة تصنيف المرضى من الأصحّاء،بوصف التصنيف عملية سيطرة وسلطة تتجاوز إرادة المريض،وينفتح الحديث عن زوايا مظلمة في المستشفيات في بعض الدول،والتعامل مع جسد المريض باعتباره موضوعًا وليس ذاتًا،غير أنه(حصل تقدّم كبير في إنسانية العلوم الطبية وأخلاقياتها الكونية،واعترافها بأخطائها وجاهزيتها للمساءلة)[59].وأصبح عدد أسرّة المستشفيات والأطباء من مقاييس تقدّم البلدان ومستوى التنمية البشرية فيها.

المستشفى إذن،بيئة مثالية ينبغي أن تتجلّى فيها الإنسانيّة في أبهى صورها،ومنها المساواة.وعادةً ما يجري الحديث عن دور إيجابي تنهض به المستشفيات والطب عموماً في التمازج الثقافي والحضاري والعلمي،وبوصفها بوّابة إنسانيّة تستوعب الأغيار بغض النظر عن اختلافاتهم وثوابتهم أكثر من الحديث عن معايير الربح والخسارة التي رافقت كورونا حين تمّ تقديم الاقتصاد على حياة الإنسان في بعض الدول الديمقراطية.ويثور في هذا الإطار الحديث عن التمييز في المعاملة بين معاملة

المواطن مع الوافد أو المهاجر أو المقيم أو غير الشرعي أو البدون أو الطبيب المهاجر من الطبيب المواطن،والحديث نفسه يدور حول معاملة غير القادر على دفع تكاليف العلاج مقابل صحة الإنسان،أكثر من الحديث عن المردود المادي الذي يتأتى من كورونا،ويطرح بشارة دوماً الإنسانيّة بديلاً عن كل الطروحات،وبالتالي ينبغي فتح هذه الملفات أولاً من زاوية إنسانية عريضة وليس في أوقات الأوبئة فقط(إن الخليط الإثني والديني القائم في المستشفيات، والتنوع تحت سقف المهنة، هو من أرقى مظاهر الحضارة الإنسانية المعاصرة في مقابل ظواهر سلبية عديدة)[60](أمّا مهنة الطبيب البشري فهي معالجة البشر إذا أتيح لهم الوصول إليه،بغض النظر عن قرار الحكومات)[61].

والحديث عن كورونا يفتح الحديث على علاقة الطب بالتجارة والربح المادي وتحويل المشفى الى شركة،والعيادة الى محل تجاري،ويبدو كيف يتم تلويث المهنة الإنسانية الشريفة بشكل أكبر من التلويث الذي رافق كورونا،وهنا يبرز دور الدولة قبل كورونا وبعده،والواضح أنّ إخضاع مهنة الطب لاعتبارات الربح المادي،يؤثّر سلبيًّا في المهنة ذاتها إذا لم يتمسّك الطبيب بأصولها الأخلاقيّة والإنسانيّة،وإذا لم تفرض التشريعات شروطًا وقيودًا على هذه العملية(درجة الجاهزية للأوبئة تكون عادة محدودة مثل الجاهزية للكوارث، ولكن يمكن أن تكون أفضل لو كانت مؤسسات الدول أبعد نظرًا،ولو استمعت للعلماء والمتخصصين.وتحتاج مواجهة الأوبئة)[62]علينا أن نصغي إلى رأي العلم لا التجارة في موضوع الطب وإنتاج الأدوية.

-4-

وجد بشارة في فيروس كورونا مناسبة للحديث عن قضايا معاصرة،يعانيها الإنسان المعاصر،على مستوى الأفراد والمجتمعات والدول،وقارن بين ما خلّفه هذا الفيروس وما صنعه البشر،وكانت مقالته خطاباً مضاداً يدافع فيها عمّا رُمي به كورونا من تهم،وقدّم قراءة نقديّة تبيّن أن فيروس كورونا ليس هو الوباء البيولوجي الذي يصيب أجسام البشر فحسب،بل يشمل أشكال السلوك الإنساني،فصار يرى الفيروس والوباء في الفساد والظلم والهيمنة والاستحواذ وانتهاك إنسانيّة الإنسان وغياب العدالة والمساواة وغير ذلك.وقد وقف عند نظريّة المؤامرة وأشكال التمييز والعنصرية والعلاقات بين الدول والشعوب والحضارات،في جانب من مقالته.

أ-كورونا ونظرية المؤامرة:

يرى بشارة أن فيروس كورونا لم يصنع نظريةً للمؤامرة،وهو ليس نتاجاً من نتاجاتها،ذلك أنّ فعل المؤامرة موجود ما وُجدت الدول والمجتمعات والمصالح وعلاقات الصراع،ردّاً على مَن يرى أنّ كورونا جاء بنظرية المؤامرة،يقول:(وسوف تظلّ توجد مؤامرات طالما يقوم فاعلون في السياسة

والاقتصاد بالتخطيط سرًّا لفعلٍ لا يتوقعه الطرف الآخر من أجل التفوق عليه،أو تسجيل نقاط ضده،وتحصيل نتيجة يستفيدون منها ويتضرّر منها ذلك الطرف)[63].ويشترك فيروس كورونا وفعل المؤامرة في أنّ كلاً منهما خفيّ وغير مرئيّ ووباء خطير.

ورد في نص بشارة تركيب"نُسجت قصص"للدلالة على فعل التآمر القصديّ السريّ المحكَم،وتحيل مفردة"القصص"إلى خضوع فعل القصّ لتخيّلات القاصّ وإبداعاته في خلق أشكال من التآمر،كالحديث عن مؤامرةٍ أمريكيةٍ ضد الصين،اتسعت لتشمل إيران،وكالحديث عن مؤامرة صينية ضد أمريكا،اتّسعت لتشمل الغرب.وثمّة اتهامات وُجهت للمسلمين والعرب والإيرانيين واليهود من جهات مختلفة لغايات مختلفة.ورفض بشارة هذه القصص لأنها أوهام ومن نسج خيال البشر،ولن تنتهي.وحين وازنَ بين هذه القصص المنسوجة وكورونا،انتهى إلى أنّ الوباء الحقيقي يتمثّل في الكذب والشائعات ولفت الأنظار وحبّ الظهور،وليس في كورونا الذي يتضاءل أمام مؤامرات البشر في التاريخ(ثمّة مرضى بهوس لَفْت النظر وطلب الإعجاب والاعتراف بواسطة نشر الصور المزيفة والشائعات،لا يوقفهم وباءٌ ولا حرب عالمية،وعلى نحو متناقضٍ حتى الوباء لا"يعالج"المرض الذي ابتلوا به)[64]،ويتبيّن أنّ بشارة يعتمد في مقولاته وآرائه على الحقائق أساساً للتفكير العقلانيّ،وليس الأوهام والتخيّلات والارتهان إلى الشائعات والأكاذيب.

ب - كورونا وازدواجيّة الرؤية :

وظّف بشارة السخريةَ أحياناً في مقالته النقدية،وتبنّى خطاباً ضدّيّاً ردّ فيه على طروحات بعض الباحثين،مستعيناً بالوقائع،ووصفَ رؤية بعض الدارسين إلى تأثيرات كورونا بالضيق والقصور،فالذين رأوا فيه القدرة على"الوقف"و"الإغلاق"و"التعطيل"بمعنى وقف عجلة الاقتصاد وإغلاق المرافق العامة وتعطيل حركة النموّ والحياة،نظروا إليه من المنظور الاقتصادي فقط،ولم تشمل رؤيتهم الجانب السياسي،فقد عجز كورونا مثلاً عن وقف الحروب والصراعات المسلّحة في الوطن العربي،ولم يغيّر نظرة بعض الأنظمة السياسية إلى معارضيها،ولم تشمل هذه النظرة ذاتها العدو الإسرائيلي،واقتصرت على معارضي السلطة السياسيين.لقد وجد بشارة في كورونا فرصةً للبحث عن منطق يحكم علاقة الأنظمة السياسية بمعارضيها،فأدرك أنّ هذا المنطق ينظر إلى هؤلاء المعارضين بوصفهم"فيروسات وجراثيم إرهاب"ينبغي مكافحتهم،كالنظر إلى فيروس كورونا البيولوجيّ،يقول:(أمّا النظام في سورية فيواصل حربه على شعبه،وسوف ينتصر على الفيروس كما انتصر على "جراثيم الإرهاب")[65].

ت-كورونا والنظام الدولي وعلاقات الدول:

كما وجد في كورونا أيضاً فرصة للبحث عن منطق يحكم علاقات الدول والمجتمعات معاً،فأدرك أنّ هذا المنطق هو منطق العبث بمصائر الآخرين والقضايا الدولية مثل"قيادة العالم"و"النظام العالمي"و"النظام الدولي"،فمن جهة أنه منطق غير المتخصّصين وذوي الخبرة والتجربة،ومن جهة أخرى أنه انطباعيّ وليس منهجاً علميّاً يحتكم إلى العلم ومناهجه وأصوله[66] فضلاً عن أنه(ربما كان الأجدى مناقشة ما يجري في الحاضر،أكثر من التسرّع في إطلاق التنبؤات المستقبلية،والحديث بمنطق "نهاية العالم")[67].

ويصدع بشارة إلى الأنظار الواقعيّة التي ترى حتميّة التغيير،باستثناء منطق العلاقات بين الدول،وهي استيراتيجيّة خطابيّة يعكف على ذكرها في نهاية أطروحاته(وسوف يشهد العالم،كما يبدو،تغيرات اجتماعية واقتصاديّة بنيويّة،وسوف تتغيّر بعض عاداتنا اليومية،ولن يغادرنا التعقيم كما يبدو،وسوف تصبح دول العالم أكثر إدراكًا لخطر الأوبئة...ولكن منطق العلاقات بين الدول لن يتغير،وكذلك الاتجاه الحالي إلى عالم متعدد الأقطاب لن يتغير)[68].

ناهض بشارة الرؤية التي تنطلق منها المركزيّة والفكر الذي تستند إليه في تطبيقاتها،وفي ضوء هذا الوعي عارضَ المركزيّةَ الصينيّة المقترحَة،بوصفها نظاماً عالمياً جديداً،وانطلق في رؤيته من منظورٍ إنساني،واتهمها بعدم القدرة على قيادة العالم،لأنها تنتهك حقوق الإنسان،بما لا يفرّقها عن الرأسماليّة الغربيّة،واستخدم صيغة الاستدراك(لكن)أداةً في التعبير عن الاضطراب الذي نشأ جرّاء التفكير بهذا الاتجاه(ولكن يحيّرك استمرار بعضهم في الحديث..)[69]،مما يعني أنّ الحيرة تكمن في"استمرار"الحديث عن قيادة الصين بسبب مسحتها"الإنسانيّة"،فردّ بأنّ بعدها عن هذه المسحة الإنسانيّة هو ما ينأى بها عن أن تتولى قيادة العالم،وواصل احتجاجه وحجاجه بأنّ هذا العالم المقترَح ليس"جديداً"ولا يختلف عمّا هو موجود في الرأسمالية الغربية التي تقوم على الهيمنة الاقتصادية وتقديمها الاقتصاد على صحة الإنسان(ولكن يُحيّرك استمرار بعضهم في الحديث عن نظام عالمي جديد بقيادة الصين،خصوصًا حين يُضفون مسحةً إنسانيّةً على مثل هذا النظام الدولي الجديد المتخيّل!)[70]وانتهى إلى أن الصين نظام شمولي يتبنّى نزعة قوميّة،ويرفض الديمقراطية الغربية،في ضوء"المعيار الإنسانيّ"الذي يعتدّ به عزمي بشارة في رفض المواقف أو قبولها.

ث-كورونا والرؤية الكولونياليّة العنصريّة:

ونجد في هذه المقالة رؤيةً عنصريّة استندت إلى خطاب كولونياليّ ظهرت في عدد من التعبيرات،منها:تعبير"مناعة القطيع"وهو تعبير قادم من عالم الدوابّ إلى عالم البشر،ويشير إلى إكساب قطعان الدوابّ مناعة جسديّة صحيّة تحول دون انتقال المرض إليها،ويذكّر هذا التعبير

برؤية استعماريّة فوقيّة تمارَس على الأمم المستعمرَة بما يقاربها من عالم الحيوان،ومنها تعبير"الحجْر الصحي"الخاصّ بإجراءات وضع الدوابّ في مكان معزول للتأكد من خلوّها من الأمراض المعديّة،ويتصل بهذين التعبيرين تعبيرٌ ثالث هو"العزل الصحّي"للدواب التي تثبت إصابتها بالمرض كي لا ينتقل إلى غيرها من الدواب السليمة،ويتعلّق هذا التعبير بتخصيص مكان للعزل.وهكذا،أُستخدمت التعبيرات الخاصة بعالم الحيوان في عالم الإنسان،وتمّ توظيفها للتعبير عن رؤية دونيّة عنصريّة تنظر إلى البشر نظرتها إلى الحيوان،فصارت المنازل والبيوت حظائر للحجر والعزل،وكان البشر مقابل الدوابّ.وتجاوزت هذه المفهومات الدولَ المستعمرَة إلى أن صارت عالميّة،وكشف كورونا عن نظرة تمييزية بين شعوب أوروبا نفسها،وهي النظرة ذاتها التي كانت أوروبا تنظر منها إلى الدول المستعمَرة،فانتقلت من موقع المركز إلى موقع التابع،وها هو المركز العالمي ينظر إلى غيره من الدول والشعوب هذه النظرة الدونيّة العنصرية في الأخذ بسياسة مناعة القطيع،والنظر إلى العالم بوصفه عالماً محجوراً عليه.وبعض هذه المفهومات نتاج عولمة ترى إلى شعوب الأرض أنها بيئة للاختبار،وصالحة للترويض.غير أنه يمكن الردّ على هذه الرؤية الدونيّة العنصرية بعولمة إنسانية،تنظر إلى المشترك الإنساني.

وتجلّت الرؤية العنصريّة في نظرة الرئيس الأمريكي السابق"ترمب"إلى فيروس كورونا بوصفه أداةً لتخويف الأغيار وكرههم،وفي إضفائه هويّة صينيّة على الفيروس،حين أطلق عليه اسم"الفيروس الصيني".غير أنّ بشارة رفض هذه النسبة العنصرية،مثلما رفض نسبة الإنفلونزا إلى إسبانيا،وهذا لا يبرّر التسمية العنصرية الترامبية المتمثلة بـ"الفيروس الصيني"فهو بيولوجي وليس صينيًّا؛مثلما يكون من الخطأ الاستمرار في تسمية إنفلونزا بداية القرن الماضي بالإنفلونزا الإسبانية.

وفي سياق هذا التوجّه العنصريّ،تبدو إفريقيا حقلاً للتجارب والاختبارات،ويبدو أن تاريخ الحركة الاستعمارية أسود في المدار الإفريقي،في وقت أغمض فيه العالم الاستعماري عيونه عن روح إفريقيا الإنسانية،لذا تُركت يتنازعها الإيدز والكوليرا والملاريا وغيرها.وتنطلق هذه الرؤية العنصرية من المركز الإمبراطوري،بالتغاضي عن ظواهر الإبداع والعلم في هذه البلدان المستعمرة،وكأنّ الاعتراف بالمنجَز لا بدّ أن يحظى بمباركة وإقرار من المركز.وتاريخُ ظهور الصوت الأسود في الأدب يذكر قصة العبدة السوداء ذات الأصول الإفريقية"فيليس ويتلي"أنّ نشر كتابها"قصائد عن مواضيع مختلفة دينية وأخلاقية"تطلّب توقيع"شهادة"من لجنة من أرفع مواطني بوسطون مكانة،تؤكّد أنّ إبداعها أصيلٌ يعود لصبيّة زنجية،لدحض فكرة أنّ السود غير قادرين على الإنجاز الفكري والثقافي والحضاري كالبيض.وما زال تاريخ الأدب يذكر أن عنوانات نصوص العبيد كانت تقترن بعبارة"كتبها بنفسه"أو"كتبتها بنفسها"من رجل أبيض يشهد على أنها

كتبت قصتها بنفسها،بافتراض أن عقلها أدنى من أن تكتب كما يكتب الأبيض[71]،وتتكرّر القصة ذاتها مع أطباء من السودان ذكروا أنّ علاج الملاريا يصلح لعلاج كورونا،فقد(سخر بعضُ من سمعهم،ولم يهتم آخرون.ولكن حين صرّح بذلك أطباء فرنسيون وتبعهم ترامب غدَا الموضوع جدّيًا،أما السودانيون فقد أُهملوا،ربما لأنهم سودانيون وأفارقة)[72].ولا يرى طبيبان فرنسيان في أفريقيا سوى قارّة تصلح لاختبارات اللقاح المضاد على سكانها.لقد كشف كورونا الغطاء عن مناقشة قضايا تتعلق بالعنصرية والتمييز وأشكال خطاب الهيمنة الاستعماري،ونأمل أن يدفع بقضية إفريقيا إلى الواجهة.

فتح فيروس كورونا قراءاتٍ على ظواهر سلبيّة في المجتمع البشري،فكان خطاباً مضادّاً لخطابات أسّست أنساقاً ثقافيّة تجذّرت إلى أن صارت من الثوابت،وهو خطاب يفكّك خطاب المركزيّات،كخطاب العنصرية والتعصّب الأعمى لعرق أو دين أو قوميّة أو لون.وفي هذا السياق يجيء اتهام الهنود للمسلمين بنشر وباء كورونا قصداً،وتوظيفه لغايات سياسية،وترافق هذا الاتهام مع أكثر من رسم كاريكاتيري للتعبير عن عنصريّة ضد العرب،ورُسم المسلم على هيئة فيروس كورونا في صورة كاريكاتيرية،ورُسم الفلسطيني على هيئة فيروس تلفّه كوفيّة فلسطينيّة(فنزوع العنصرية إلى تشبيه الآخر بوباء وسرطان وغيرها من الأمراض التي تسبب رعبًا جماعيًّا أمرٌ مجترّ ومكرور،ويفتقر إلى الخيال) [73]،وحُجرَ بعض الأشخاص لأنهم أفارقة وذوو جلدة سمراء فقط في بعض أقطار العالم،فضلاً عن أشكال من العنصريّة ضد بعض طلبة جنوب شرق آسيا عبر إطلاق اسم"فيروس"عليهم مما أثار استياءهم(وتناقلت صحف عديدة أخبارا مفصّلة عن معاملة تمييزية ضد الأفارقة في بعض المدن الصينية،وطردهم من شققهم،وملاحقتهم وحجْرهم بناء على لون البشرة) [74].يسوق عزمي بشارة في مقالته هذه الأشكال من العنصريّة،كي يؤكّد أن مضارّ وباء كورونا الجسدية،تتطامن أمام آثاره الثقافية والاجتماعية والسياسيّة والاقتصادية،ويكفي أن هيّأ كورونا الفرصة للوعي على هذه القضايا،وهكذا،كانت قراءة بشارة قراءة نقديّة لقراءات صرفت الأنظار عمّا يقوم به الإنسان نفسه من مخاطر ثقافية وروحية تجاه الإنسانية.

ج-كورونا والجهل والإعلام :

لجأ بشارة إلى استيراتيجية المقارنة،بين الأضرار التي تخلّفها تصرّفات البشر في المجتمعات الإنسانية،وما يخلّفه وباء كورونا الطبيعي،لينتهي أخيراً إلى أنّ ما يخلّفه وباء كورونا أقل ضرراً مما تخلّفه الأمراض الاجتماعية وظواهر الفساد في المجتمعات.وكشف عن أن ما يمرّ به الإعلام من أزمات،تتمثّل في الجري وراء الشهرة،وتوظيف الصورة في الإثارة والترويج وصناعة

الشخصيات،أخطر من وباء كورونا،إلى حدّ صارت فيه وسائل الإعلام نفسها وباء خطيراً.ويرى بشارة أن وباء الجهل وآثاره على المجتمع من أكثر الأوبئة فتكاً وأكثر عدوى من وباء كورونا(فلا يساوي الوباء بين من يعتمدون على تفسيراتٍ عقلانية للوباء ومواجهته ومن لم يتحرّروا من براثن الجهل والتفسيرات الغيبية للكوارث والتحدّيات التي تواجه المجتمعات عمومًا)[75]ظهر ذلك في البحث عن تفسيرات لوباء كورونا أدارت ظهرها للعلم والمنطق وأعلت من شأن تفسيرات غيبية لا تنمّ إلاّ عن جهل واستسلام لخرافات وأباطيل لا تصمد أمام النظر العلمي،من خلال تساؤلات إنكارية من محاولة إقناع الناس بخطورة كورونا(أليس غريبًا أن يتكرّر في تلك البلدان استنجاد الدولة برجال الدين وعلماء التربية والعلماء لإقناع الناس بأن الوباء قاتلٌ،وأن ما يروج من خرافات حوله غير علمي وغير ديني.حكومات هذه الدول تخوض المعركة على أكثر من جبهة،منها جبهة ما جنته من عدم الالتفات إلى الجهل واللاعقلانية)[76].

ولجأ بشارة في استيراتيجيته الحجاجيّة إلى الموازنة،كي يثبت رأيه ويفنّد رأي غيره،فقد وجد في الدعوة إلى إضاءة الشموع في أرجاء الهند لمقاومة وباء كورونا،مقابل التغاضي عن ظواهر سياسية واجتماعية تتعلق بالوعي والحريّة وعلاقة السلطة بالمجتمع ما يجعل(أوبئة الفقر والجهل والعنصرية الطبقية المنتشرة في مثل ذلك البلد تقزّم كورونا بالتأكيد)[77]ويجعل منها أكثر ظلاماً منه.ويحرص بشارة في كثير من الأحيان أن يكون سارداً ذاتياً،بمعنى أنه لا يكتفي بنقل الخبر بل يكشف عن رأيه في هذا الخبر الذي ينقله،خلال تعبيرات تتخلّل العمليّة السرديّة مثل وصف الديمقراطية الهندية بِـ"العجيبة"التي تجعل المتلقي يتعرف إلى موقفه.كما أن استخدام تركيب"ما زال"يشير إلى ظاهرة كانت في الماضي وأن استمرارها في الماضي صار أمراً منكَراً لطبيعة التحوّلات في المجتمع المعاصر الذي ينظر إلى بقاء مثل هذه الظواهر أمراً يدعو إلى الاستغراب والإنكار،ومن غير أن ينسى استخدام أسلوب الإضحاك الساخر والطُرفة والصورة من أجل تعرية الموقف المقابل،فهو يصف ما يدور حول إضاءة الشموع في الهند بقوله:(وأنه في هذه الديمقراطية العجيبة ما زال بوسع الشرطي أن يركّع المواطنين جماعاتٍ في الشارع ويؤدّبهم بالعصا)[78].ولا ننسى إيحاءات صيغ "الديمقراطيّة العجيبة"و"ما زال"و"يركّع المواطنين جماعات"و"في الشارع"(يؤدّبهم بالعصا"استخدام إبداعي لعصا لعبة الكريكيت")و"القاصرين"مع الإشارة إلى ما تتّفق فيه هذه الظواهر مع ما كان شائعاً في القطاع التربوي العربي،وهكذا،فهذا خطاب تتفجّر منه الدلالات والأفكار لغايات حجاجيّة إقناعيّة فضائحيّة تنطلق من الخاص إلى العام وتؤسّس منهجاً في التعامل مع القضايا الكبرى في المجتمع وتصنّفها بحسب أهميتها.ونلحظ ما تضيفه

عبارة"القاصرين"من دلالات تؤشّر إلى رؤية ترى إلى نفسها أنها رؤية سياسية"راشدة"تنظر إلى الطبقة المحكومة بوصفها فئة"قاصرة"ما زالت تحت الوصاية لا تملك القدرة على إدارة نفسها.

وقد كشف كورونا أوبئةً اجتماعيّةً وثقافيّة أخطر منه،تتمثّل بالتقاء الجهل مع الخوف من الموت والمجهول،مع ما ينشأ حول هذا الخوف من حكايات وأساطير تفرز ردود أفعال متعصّبة وغير منطقية،ومثال ذلك حين رفضت قرية مصرية دفن إحدى طبيباتها في مقابرها لأنها توفيت بمرض الكورونا،مما يفضح الخطاب الثقافي العام الذي يدّعي حماية الأنثى من الآخر،وليؤكد تهافت هذا المنطق أمام خطاب الجهل الذي تتهاوى أمامه كثير من ثوابت المجتمع الثقافية(إذا اجتمع الخوف من المجهول،ولا سيما المتعلق بالموت ونسج الأساطير حوله،مع التعصّب الأهلي المحلّويّ للجماعة الصغيرة، فإنه يصل أحيانًا إلى حد العبث.

وقد وقف بشارة عند المرض الذي أصاب وسائل الإعلام في تعاطيها مع وباء كورونا،وذلك بعسكرة إجراءات الوباء،فقد شاعت مفردات الحرب والاقتتال والسحر والشعوذة والغيبيات،مثل:"يشنّون"و"حرب شراشيح"و"شراشيح وفزّاعات"و"الدجل والتدجيل"و"المرجلة والمراجل"وشيوع أفكار وتقاليد ومعتقدات مثل التطيّر وقراءة البخت والطالع وغير ذلك تشير إلى ثقافة تبتعد عن منطق العلم والعقل،وتشير إلى(السياق الذي يمكن فيه أن يهمّش العلم والعقل إلى هذه الدرجة) [(79)]ويرتكس بالعلم الحديث والطبّ الحديث أمام الطبّ الشعبي والسحر والشعوذة والتعاويذ والبخّور.وفي هذا السياق،ربطت هذه الذهنيّة وباء كورونا بالسحر و"أرواحٍ شرّيرة"و"آخر"غريب،وكلها قوى وأسباب غيبيّة روّجت لها بعض وسائل الإعلام واحتفت بها،فأدخلتها في مأزق وعيٍ عميق يتطلّب جهداً عظيماً كي تتخلّص من آثاره التي تتفوّق حتماً على الآثار التي تترتّب على وباء فيروس كورونا،وذلك هو الوباء الحقيقي والفيروس الحقيقي(تذكّرك مجتمعاتٌ محليةٌ تتطيّر حتى من دفن الميت الذي توفي بالمرض، ومذيعون في وسائل إعلام غير محليةٍ يشنّون حرب شراشيح وفزّاعات عليه، بقائمةٍ من المأكولات والمشروبات الشعبية، إلى المكان والزمان والسياق الذي يمكن فيه أن يهمّش العلم والعقل إلى هذه الدرجة)[(80)].

ويقف بشارة،في هذا الإطار،عند بعض مَن يصفهم الإعلام بالمشاهير،فاتهمهم بالجهل وحبّ الظهور والإفتاء في كل شيء،واستخدم كلمة"يفتون"(في كل شيء،علماً أنهم جهلة)[(81)]،وقاربَ دورهم بدور رجال الدين الذين لا يفتون إلاّ في الأمور الشرعيّة فقط،ولهذا الربط دلالتُه العميقة عند المتلقين الذين يأخذون أقوالهم مأخذ الجدّ،وسعى إلى أن يبيّن جهل هؤلاء المشاهير وحديثهم حتى في الموضوعات التي يجهلونها،فكان سعيه منطقياً يحدّد موقفه الرافض لهؤلاء وما يأتون به.ويورد واقعةً يثبت بها تهافت رأي فنانة كانت اقترحت إجراء تجارب لقاحات كورونا على السجناء

الأمنيين بدل الحيوانات،وطلب من وسائل الإعلام الكفّ عن التعاون مع هذا المستوى من الفنانين والاحتفاء بهم،وتوجيه الاحتفاء بمن يخدم الناس،لأن في ذلك الرشد والعقل[82].

ح-كورونا والاقتصاد والنظام الرأسمالي:

يتوقف بشارة أمام الرأسمالية التي قدّمت الاقتصاد على حياة البشر.ويذكر بعض إيجابيات كورونا الاقتصادية،ومنها أنه كشف أهميّة أن تعتني الدول بالصناعات التقليدية،لدورها في الحفاظ على هويّة المجتمع والتوازن الطبقي بشكل أفضل مما لو تم الاهتمام فقط بالمصانع التي يملكها الأغنياء،فضلاً عن أن ذلك يدغدغ الكبرياء القومي والوطني للمجتمع(والحقيقة أن ثمّة سبباً آخر لمثل هذه الخطوة،يتمثّل في إحداث توازنٍ اقتصادي بين الصناعات التقليدية والـ"هاي تيك"في الدول الرأسمالية المتطوّرة، وهو أن اقتصاد الـ"هاي تيك"، كما تثبت الأرقام، يزيد من تركيز الثروة ومن توسيع الفجوة الطبقية.

عرّى كورونا النظام الرأسمالي لأنه لم يلتفت إلى الخسارة الإنسانيّة التي تكبّدها الموظفون الذين خسروا وظائفهم ومصادر عيشهم حالما انصاعوا لأمر الحفاظ على صحتهم ولازموا بيوتهم،بالقدر الذي التفتوا فيه إلى الخسارة الاقتصادية والمالية.

خ-كورونا:(العولمة والدولة)

يناقش بشارة آراء من يقول إن كورونا أعاد الدولة ودورها بعد أن كانت غائبة،ويردّ على ذلك بأنّ مفهوم الدولة وأدوارها في الأنظمة السياسية لم تتغير،فواجباتها عبر التاريخ محدّدة لكن قد تتخلّى عن بعض أدوارها إلى قطاعات أخرى تحت إشرافها،كما في حالات الخصخصة مثلاً،لذلك لا يلمس المواطن دوراً كبيراً في القطاعات كافة،لأنها رضيت لنفسها أن تكون في الصفوف الخلفية لصالح القطاع الخاص،وكعادته يردّ ساخراً على أولئك الذين يرون أن العولمة قضت على الدولة،فوضع الدولة مقابل العولمة،وأنّ الدولة نمت في ظل العولمة،وكان التاريخ وأحداث الواقع في أعلى سلّمه الحجاجي(كما ثبت أن العولمة،التي أنتجت ثقافة عالمية جديدة،أيقظت أيضًا الثقافات والهويات المحلية والقومية في الوقت ذاته.والحقيقة أن العولمة لم تُنْهِ الدول ولا القوميات،بل تخلّقت في ظلها دولٌ جديدة،وتقوْمنت إثنيات)[83].مازالت الدولة تمارس دورها قبل كورونا وبعده(ويجب أن يكون تعريف الدولة قائمًا على القاعدة؛أي على وظائفها في الأزمنة العادية،ومنها إلى حالة الاستثناء،وليس العكس)[84]،ويؤكّد ذلك في قوله(يتطلع الناس إلى الدولة في زمن الكوارث؛لأنها المجتمع المنظّم ذاته في صيغته السيادية،ولأنها المؤسسة الشرعية التي يمكن أن تعلن منع التجول وتوزع المؤن)[85].ويرى( Stephen M. Walt"ولت"بأن وباء كورونا سيقوّي دور الدولة القطرية ويعزّز

القومية،وستتبنّى الحكومات بجميع أنواعها إجراءات طارئة لإدارة الأزمة،وسيكره الكثيرون التخلي عن هذه السلطات الجديدة عند انتهاء الوباء)[86].

وينهي بشارة مقالته برجاء ورسالة مفادها أن العالم بعد كورونا لن يتغيّر كثيراً كما يتوقع كثيرون منا(عسى أن تعبر البشرية هذه المحنة بسلام وبأقل خسائر ممكنة، وأن نتعلم منها بعض الأمور. وقد أتيحت لبعضنا فرصة العمل من البيت والاهتمام بالعائلة، والقراءة أكثر والتأمّل وغيره. وتعلّم بعضنا تقدير مَن يعملون على تخفيف معاناة الآخرين. وتعلّم كثيرون مواجهة التحدّي بالتعاطف والتآلف والمحبة... ونأمل أن يتعلم كثيرون من هذه المحنة أنّ البشر متشابهون أكثر مما هم مختلفون، وأننا بمعانٍ كثيرة على السفينة نفسها. ولكن مَن ينتظر أن يتغير العالم والدول والبشر جذريًّا بعد كورونا، يُفضَّل أن يخفّض سقف توقعاته) [87].

-5-

**معجم الخطاب**

شاع في النصّ ثنائيات ضديّة،مثل الإيجابي والسلبي،والعدوى والشفاء،واليقين واللايقين،ونُظر إلى أجساد البشر بوصفها وسائل للعدوى وأخطاراً متحركة مما يتطلب محاصرته والتحكم به والسيطرة عليه لمنع انتشاره،وجميعها مفردات من المرجعيّات التي استند إليها الخطاب الكولونيالي الذي هو الكورونا الحقيقي والمرض الحقيقي والعدوى الحقيقية.

وسادت التراكيب والصيغ الآتية:(حصد الأرواح،والمسافة بين الأجساد،والضغط والإجهاد،ومواجهة الخطر،والدفاع عن الخصوصيّة،واختراق،وتحكم،وفرض،والغمّة،وتطابق النفس مع الجسد،والاستنزاف،والجبهة)وينتمي كثير منها إلى حقل الصراع بين قطبين يمتلك أحدهما سلطة يفرضها على آخر ضعيف أو أدنى،ويؤشّر إلى وجود مركز وهامش وهي القضية التي تشغل بال بشارة وهو يعاني من تداعيات قضية المركز والهامش في الصراع العربي الإسرائيلي.

كما سادت تعبيرات ومفاهيم وصيغ من مثل:(أفعال الأمر من مَن يمتلكون سلطة إلى من هو أدنى،والحديث عن العدالة والمساواة والمسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الأخلاقية وجسر الفجوة بين فئات المجتمع وبين الرجل والمرأة،والتوجس،والقلق الوجودي،والفشل،والحرمان،وأطباء ومستشفيات وطوارئ،وفيات،والبيت).

وشاعت مصطلحات عسكرية،ومفردات تشير إلى المغامرة والمجازفة والمواجهة والمجابهة والطوارئ وخط المواجهة والخطورة والجنود والتكريم،والتسليم طوعاً،والمقايضة،والتنازل،والمجال الخاص،والتنازل طوعاً،وإرادة المريض)وكلها من مفردات الصراع.

ويبدو أنّ هذه الصيغ شاعت في الخطاب العالمي حول كورونا،فقد استخدم سياسيّون أوروبيون"خطاب الحرب"،وأشاروا إلى الأطباء بوصفهم جنوداً في الجبهة الأمامية لمواجهة"العدو غير المرئي"فيروس كورونا[88].

**خاتمة**

انتهت هذه القراءة إلى أنّ عزمي بشارة عكف على تفكيك ما شاع من مقولات تنسب ما يدور في المجتمع إلى كورونا،إذ بيّن براءة كورونا مما نُسب إليه،وأنّ الإنسان هو المسؤول عمّا في المجتمع من مفاسد،وانتقل في قراءته التفكيكية من المستوى الحسي الظاهري إلى المستوى المتواري المخفي،وقد قامت الدراسة بالوقوف عند هذا المتواري،وانتهت إلى أن بشارة كان ينطلق في نظره إلى القضايا من منطلق إنساني.ووقفت الدراسة عند القضايا التي أثارها النصّ،وبيّنت موقف الكاتب مقارناً أحياناً بغيره من المواقف التي يعارضها .

**الهوامش والإحالات**

[1] - سعيد،إدوارد،الثقافة والإمبريالية،ترجمة كمال أبو ديب،دار الآداب،ط4 ،2014، ص118.

[2] -السابق،ص135.

[3] -الإدريسي،يوسف،عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،بيروت،2015 ،ص 21.

[4] -داروين،تشارلز،2017:أصل الأنواع،ترجمة مظهر،إسماعيل،نشر مؤسسة هنداوي سي آي سي،المملكة المتحدة،ص201.

[5] -هوبز،توماس،2011:اللفياثان،الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة،ترجمة حرب،ديانا،و صعب،بشرى،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث(كلمة)ودار الفارابي،ط1، 1432هـ-2011م،ص38-151.

[6] -الكيال،محمد سامي:فيروس رجعي:كورونا وفرصه الثقافية،القدس العربي،2 إبريل 2020.https://www.alquds.co.uk/

[7] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(حياتنا كما نعرفها)جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

[8] -بوطيب،رشيد،جائحة فيرس كورونا "كوفيد-19"..لحظة كونية ستغير العالم؟:التفكير في زمن كورونا،قنطرة،15 مارس 2020. https://ar.qantara.de/content.

[9] -بوطيب،رشيد،جائحة فيرس كورونا "كوفيد-19"..لحظة كونية ستغير العالم؟:التفكير في زمن كورونا،قنطرة،15 مارس 2020. https://ar.qantara.de/content.

[10] -أنوار،حمادي،الإنسان في زمن كورونا:تأمّلات في المرض والموت والدين،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،24 مارس 2020 . https://www.mominoun.com/articles-7072.

[11] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[12] -أنوار،حمادي،الإنسان في زمن كورونا:تأمّلات في المرض والموت والدين،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،24 مارس 2020 . https://www.mominoun.com/articles-7072.

[13] - بوطيب،رشيد،جائحة فيرس كورونا "كوفيد-19"..لحظة كونية ستغير العالم؟:التفكير في زمن كورونا،قنطرة،15 مارس 2020. https://ar.qantara.de/content.

[14] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[15] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(حياتنا كما نعرفها)جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

[16] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(حياتنا كما نعرفها)جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

[17] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(حياتنا كما نعرفها)جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

[18] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(حياتنا كما نعرفها)جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

[19] -وطفة،علي أسعد،من مركزية الإنسان إلى هامشيته في زمن"الكورونا"؛الهوية الحضارية للإنسان في مواجهة الكارثة!مؤسسة مؤمنون بلا حدود،21 مارس2020. https://www.mominoun.com/articles

[20] -وطفة،علي أسعد،من مركزية الإنسان إلى هامشيته في زمن"الكورونا"؛الهوية الحضارية للإنسان في مواجهة الكارثة!مؤسسة مؤمنون بلا حدود،21 مارس2020. https://www.mominoun.com/articles

[21] -وطفة،علي أسعد،من مركزية الإنسان إلى هامشيته في زمن"الكورونا"؛الهوية الحضارية للإنسان في مواجهة الكارثة!مؤسسة مؤمنون بلا حدود،21 مارس2020. https://www.mominoun.com/articles

[22] -الذكواني،بشير،الكورونا:ماذا تبقى من الموتى؟، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات ،31 مارس ،2020 . https://www.mominoun.com/auteur/1534

[23] -أنوار،حمادي،الإنسان في زمن كورونا:تأمّلات في المرض والموت والدين،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،24 مارس 2020 . https://www.mominoun.com/articles-7072.

[24] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(حياتنا كما نعرفها)جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

[25] -عائشة نجار(تجميع وترجمة)،كورونا:حوارات الفلاسفة وأشياء أخرى،كوة،4 إبريل 2020. https://couua.com

[26] -عيسى،سامية،"نعوم تشومسكي،ما بعد كورونا أخطر من الوضع الراهن"،اندبندنت عربية،13 أبريل 2020. https://www.independentarabia.com/node/111151

[27] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(حياتنا كما نعرفها)جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

[28] -" لورينزيني،دانييل:السياسة الحيوية في زمن الفيروس التاجي(فيروس كورونا)"،ترجمة ازويتة،محمد،كوة،17 إبريل 2020 . https://couua.com

[29] -للمزيد يُنظر:الذكواني،بشير،الكورونا:ماذا تبقى من الموتى؟، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات ،31 مارس 2020، https://www.mominoun.com/auteur/1534 .

[30] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[31] -فرجاني،محمد الشريف،جائحة الكورونا وتهاوي سرديّات الليبيراليّة الجديدة والهوويّة،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،27 مارس 2020.https://www.mominoun.com/articles/-7078

[32] -البهلول،علي،الفلسفة وسؤال الأزمة حول فيروس الكورونا أو في كيفية التعامل مع الموت،المحور:ملف:وباء-فيروس كورونا(كوفيد-19)الأسباب والنتائج، الأبعاد والتداعيات المجتمعية في كافة المجالات،الحوار المتمدن-عدد(6515)،16\3\2020 . https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=668928

[33] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[34] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[35] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[36] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[37] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[38] - عيسى،سامية،"نعوم تشومسكي،ما بعد كورونا أخطر من الوضع الراهن"،اندبندنت عربية،13 أبريل 2020.
https://www.independentarabia.com/node/111151

[39] -الحشر:21 .

[40] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير
لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،2020\4\21. https://www.arab48.com .

[41] -المسكيني،فتحي،الفلسفة والكورونا:من معارك الجماعة إلى حروب المناعة،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،24
فبراير 2020. https://www.mominoun.com/articles\7028

[42] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(التباعد
الجسدي)،جريدة"المدن"الإليكترونية،2020\4\21. https://www.arab48.com .

[43] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(التباعد
الجسدي)،جريدة"المدن"الإليكترونية،2020\4\21. https://www.arab48.com .

[44] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(هل يساوي الوباء بين
الناس؟)،جريدة"المدن"الإليكترونية،2020\4\21. https://www.arab48.com .

[45] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير
لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،2020\4\21. https://www.arab48.com .

[46] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن التنظير
لذاته)،جريدة"المدن"الإليكترونية،2020\4\21. https://www.arab48.com .

[47] -العاني،محمد،كورونا وآلهة العصر ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،20 مارس 2020.
https://www.mominoun.com/articles/-7070

[48] -العاني،محمد،كورونا وآلهة العصر ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،20 مارس
https://www.mominoun.com/articles/-7070.2020

[49] -المسكيني،فتحي،الفلسفة والكورونا:من معارك الجماعة إلى حروب المناعة،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،24
فبراير 2020. https://www.mominoun.com/articles\7028

[50] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور( بشأن ما يُسمّى"خطّ المواجهة الأول"
)،جريدة"المدن"الإليكترونية،2020\4\21. https://www.arab48.com .

[51] -" لورينزيني،دانييل:السياسة الحيوية في زمن الفيروس التاجي(فيروس كورونا)"،ترجمة ازويتة،محمد،كوة،17 إبريل 2020 . https://couua.com

[52] -عائشة نجار(تجميع وترجمة)،كورونا:حوارات الفلاسفة وأشياء أخرى،كوة،4 إبريل 2020. https://couua.com

[53] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(هل يساوي الوباء بين الناس؟)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[54] -" لورينزيني،دانييل:السياسة الحيوية في زمن الفيروس التاجي(فيروس كورونا)"،ترجمة ازويتة،محمد،كوة،17 إبريل 2020 . https://couua.com

[55] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(هل يساوي الوباء بين الناس؟)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[56] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(هل يساوي الوباء بين الناس؟)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[57] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(هل يساوي الوباء بين الناس؟)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[58] -" لورينزيني،دانييل:السياسة الحيوية في زمن الفيروس التاجي(فيروس كورونا)"،ترجمة ازويتة،محمد،كوة،17 إبريل 2020 . https://couua.com .

[59] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(بشأن ما يُسمّى"خطّ المواجهة الأول")،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[60] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(بشأن ما يُسمّى"خطّ المواجهة الأول")،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[61] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(بشأن ما يُسمّى"خطّ المواجهة الأول")،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[62] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(بشأن ما يُسمّى"خطّ المواجهة الأول")،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[63] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة،العنصرية)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[64] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة،العنصرية)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[65] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(النظام الدولي)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[66] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(النظام الدولي)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[67] -الكيال،محمد سامي:فيروس رجعي:كورونا وفرصه الثقافية،القدس العربي،2 إبريل 2020.https://www.alquds.co.uk/

[68] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(النظام الدولي)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[69] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المفاضلة السياسية بين البلدان في مكافحة الوباء)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[70] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المفاضلة السياسية بين البلدان في مكافحة الوباء)،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[71] -برايس،سايمون لى،2005:تاريخ الأدب والنقد الإفريقي الأمريكي،ترجمة رضوى عاشور،منشور في"موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي،ج9،عدد 919،القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية،تحرير ك.نلووف،ك.نوريس،ج.أوزبورن،مراجعة وإشراف عاشور،رضوى،المشروع القومي للترجمة،المجلس الأعلى للترجمة،ط 1 ، "،ص357-359 .

[72] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(ترمب)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[73] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[74] -بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[75] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[76] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[77] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[78] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)
،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[79] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[80] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(المؤامرة،الشائعة، العنصرية)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[81] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(مشاهير)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[82] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(مشاهير)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[83] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن عودة الدولة)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[84] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن عودة الدولة)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[85] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(عن عودة الدولة)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[86] -الشرفات،سعود،العلاقات الدولية وعالم "ما بعد" وباء كورونا،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،30 مارس 2020. https://www.mominoun.com/articles -7079 .

[87] - بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟،محور(اقتصاد معلّق،اقتصاد موقوف)

،جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com .

[88] -عيسى،سامية،"نعوم تشومسكي،ما بعد كورونا أخطر من الوضع الراهن"،اندبندنت عربية،13 أبريل 2020. https://www.independentarabia.com/node/111151

## المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-الإدريسي،يوسف،عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1،بيروت ،2015.

-أنوار،حمادي،الإنسان في زمن كورونا:تأمّلات في المرض والموت والدين،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،24 مارس 2020. https://www.mominoun.com/articles-7072.

- برايس،سايمون لى،تاريخ الأدب والنقد الإفريقي الأمريكي،ترجمة رضوى عاشور،منشور في"موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي،ج9،عدد 919،القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية،تحرير ك.نلووف،ك.نوريس،ج.أوزبورن،مراجعة وإشراف عاشور،رضوى،المشروع القومي للترجمة،المجلس الأعلى للترجمة،ط 1 ، "2005.

-بشارة،عزمي،جبر الخواطر في زمن المخاطر:ماذا يعلمنا الوباء؟جريدة"المدن"الإليكترونية،21\4\2020. https://www.arab48.com

-الهلول،علي،الفلسفة وسؤال الأزمة حول فيروس الكورونا أو في كيفية التعامل مع الموت،المحور:ملف:وباء-فيروس كورونا(كوفيد-19)الأسباب والنتائج، الأبعاد والتداعيات المجتمعية في كافة المجالات،الحوار المتمدن-عدد(6515)،16\3\2020. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=668928

-بوطيب،رشيد،جائحة فيرس كورونا "كوفيد-19"..لحظة كونية ستغير العالم؟:التفكير في زمن كورونا،قنطرة،15 مارس 2020. https://ar.qantara.de/content.

-داروين،تشارلز،أصل الأنواع،ترجمة مظهر،إسماعيل،نشر مؤسسة هنداوي سي آي سي،المملكة المتحدة،2017.

-الذكواني،بشير،الكورونا:ماذا تبقى من الموتى؟، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات ،31 مارس ،2020 . https://www.mominoun.com/auteur/1534

- سعيد،إدوارد،الثقافة والإمبريالية،ترجمة كمال أبو ديب،دار الآداب،ط4 ،2014.

-الشرفات،سعود،العلاقات الدولية وعالم "ما بعد" وباء كورونا،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،30 مارس 2020. https://www.mominoun.com/articles -7079 .

-عائشة نجار(تجميع وترجمة)،كورونا: حوارات الفلاسفة وأشياء أخرى،كوة،4 إبريل 2020.

https://couua.com

-العاني،محمد ،كورونا وآلهة العصر ،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،20 مارس 2020.

https://www.mominoun.com/articles/-7070

-عيسى،سامية،"نعوم تشومسكي،ما بعد كورونا أخطر من الوضع الراهن"،اندبندنت عربية،13 أبريل 2020.
https://www.independentarabia.com/node/111151

-فرجاني،محمد الشريف،جائحة الكورونا وتهاوي سرديّات الليبيراليّة الجديدة والهوويّة،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث،27 مارس 2020.https://www.mominoun.com/articles/-7078

-الكيال،محمد سامي:فيروس رجعي:كورونا وفرصه الثقافية،القدس العربي،2 إبريل 2020.https://www.alquds.co.uk/

-" لوربنزيني،دانييل:السياسة الحيوية في زمن الفيروس التاجي(فيروس كورونا)"،ترجمة ازويتة،محمد،كوة،17 إبريل 2020 .
https://couua.com

-المسكيني،فتحي،الفلسفة والكورونا:من معارك الجماعة إلى حروب المناعة،مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات،24 فبراير 2020. https://www.mominoun.com/articles\7028

-هوبز،توماس،اللفياثان،الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة،ترجمة حرب،ديانا،و صعب،بشرى،هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث(كلمة)ودار الفارابي،ط1، 1432هـ-2011م.

- وطفة،علي أسعد،من مركزية الإنسان إلى هامشيته في زمن"الكورونا"؛الهوية الحضارية للإنسان في مواجهة الكارثة!مؤسسة مؤمنون بلا حدود،21 مارس2020. https://www.mominoun.com/articles